خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٤ من المحرم ١٤٣٦ هـ / ٧ من تشرين الثاني ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

معاشر الإخوة: الرجل صاحب الرسالة يَعيش لفكرته ويعيش في فكرته، فحياته فكرة مُجسمة تتحرك بين الناس، تحاول أبداً أن تفرض على الدنيا نفسها، وأن تَغرس في حاضر الإنسانية جذرها، ليمتد على مر الأيام والليالي فروعاً متشابكة تقلد المستقبل وتتغلغل فيه، ومن ثم تبدأ الدعوات والنهضات الكبرى برجل واحد، هو في بداية أمره أمة وحده، أمة يتخيل حقيقتها في رأسها، ويحس ضرورتها في دمه، ويُبشر بها في كلامه، ويحمل أثقالها على كاهله، ولا يَزال يجمع الرجل على الرجل ويضم البيت على البيت، ويرسم المبدأ والوسيلة والهدف، وينفخ في روحه فيمن حوله، فإذا الأمة التي كانت يَتخيلها وحده أصبحت حقيقة واقعة، تطلع الشمس عليها، ويعترف الناس بها، ويسجل التاريخ قيامها، وهكذا بلغ النبيون رسالات ربهم، وصنعوا بأيديهم الأمم التي انتقلت بها الإنسانية من طور إلى طور، وهكذا فعل العظماء من قادة الفكر وأصحاب المذاهب الفعالة والتيارات العقلية الكاسحة، إن أحدهم -يا سادة- يضع تصميم المجتمع الذي ينشده كما يرسم المهندس على الورق تصميم القصر الذي يريده ثم لا يزال يرفع

القواعد ويشيد الشرفات ويستكمل الأدوات حتى يستوي البناء قائماً شامخاً عليه من روح منشئه طابع وبرهان.

أولى صفات صاحب الرسالة أنه يؤمن بنفسه ويكفر بخصومه، ويغالي بفكرته ويحقر ما عداها، ويزحزح غيره ولا يتزحزح البتة، وينزل الناس على رأيه إن استطاع ولا ينزل على آرائهم أبداً، ويَثبت على شدة الكيد ويصبر على مرارة الأسى، ويدوس الأمجاد الزائفة والدنيا الزائلة، ويستهزأ بعروضها، ولا تستخفه كثرة طلابها، ولا تفجعه قلة الجاهزين فيها، بدأ هذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فوضع فواصل غليظة بين الحق الذي اهتدي إليه وبين الباطل الذي توارث الناس العمل به والاحتكام إليه، إنه من ناحية العدد قليل بنفسه وإخوانه، وأولئك كثيرون بأنفسهم ونُظمهم المألوفة وأفكارهم القديمة وأوضاعهم العتيدة، فكان أول ما اهتم به النبي ﷺ عندما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أقام المسجد، لماذا؟ لأن الناس يوم يكونون فرادى كل منهم منطوٍ على نفسه بعيد عن أخيه، فإنهم لا ينجحون في مقاومة الباطل المتجمع والضلال المحتشد، لا يستطيع الحق –يا سادة– الممزع الصفوف الممزق القوى أن يواجه باطلاً متماسكاً متحداً، وقد اتحد الضلال على المسلمين الأوائل، فلم يكن بد من صب المجتمع الإسلامي في المدينة، على أن يكون صفوفاً متراصة، وجماعة تلتقي من غسق الفجر إلى غسق الليل مع مرشدها ومعلمها مُحَمَّد ﷺ.

إن المصانع تتعدد في هذه الحياة، فهناك مصنع للأدوية ومصنع للسلع ومصنع للأسلحة، والمسجد مصنع للرجال، وكل أمة ليست لديها مَصانع للرجال فإن الأسلحة مَهما تَكاثرت في أيديها لا تُغني عنها قليلاً ولا كثيراً، فالمسجد هو روح المجتمع الإسلامي، والرجال الذين يُربون فيه هم الذين يبنون الحضارات ويكونون أرقى المجتمعات.

إن المسجد الذي بناه النبي ﷺ لم يكن مسجداً فخماً أو مزخرفاً، كان مسجداً في بنائه سذاجة، مفروشاً بالرمل، مسقوفاً بسعف النخيل، أعمدته جذوع النخل، ولكن هذا المسجد المتواضع هو الذي بنى الرجال وخرج الأبطال، في هذا المسجد المتواضع كان الناس يصطفون وراء نبيهم، يستمعون إلى الوحي المبارك وهو يصقل العقل وينظم الفكر ويجمع العزم ويحشد الهمم، ويتلو عليهم من آي القرآن خمس مرات كل يوم، شَحنهم بقوى روحية وأدبية وحماسية، جعلت المسلم عندما اصطدم بالأفكار الباطلة في دنيا الناس كأنما كان زلزالاً خدعها أو بركاناً حرقها.

لقد أنشد عبد الله بن رواحة ﵁ أبياتاً يُشيد بها في المسجد ورسالته حيث قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى ... فقلوبنا به موقنات أنما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

عندما تحققت الغاية والهدف من بناء المسجد، وهي وحدة الصف وجمع الشمل وتزكية النفس والتعاون على البر والتقوى أثنى الله على المسجد ورواده بقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

يا سادة: إن أمتنا المسلمة هي ابنة المنبر منذ كانت، صاغها يوم كان يرتقيه مُحَمَّد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، لقد كان منبراً وحيداً، ومع ذلك استطاع أن يربي جيلاً مِن البشر حملوا الرسالة إلى القارات الخمس، وأقاموا الدين والدولة معاً، فكان أثر المنبر الواحد أعظم من تأثير مئات الألوف من المنابر، ولو أننا أمعنا النظر في المآسي التي حَلَّت بالأمة العربية والإسلامية، فسنجد أنه راجع إلى تعدد المنابر وتزييف الخطاب الديني وتفرق دعاتها، لقد كان المنبر على عهد رسول الله ﷺ واحداً، يصدع بأمر واحد ويصدر ويخاطب أمة واحدة كما أراد الله، وحين فر قرن الفتنة وأنشأ بعض المنافقين منبراً آخر طرف المدينة اعتبره القرآن مسجداً ضراراً، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] فأمر الله بهدمه وإزالته، ووصف دعاته بأنهم ظالمون، وبقيت للمنبر المحمدي مهابته ما بقيت له وحدته، لقد بقي مصدر إشعاع وهداية لجماهير الأمة المعتصمة بالله.

أما الآن فقد تفرق المسلمون شيعاً، واتخذت كل شيعة لنفسها منبراً تُمارس من فوقه تمزيق وتفتيت الأمة الواحدة إلى أشلاء ممزعة، لقد اختلفت رسالة المنبر مع الأسف، فتحولت من بناء إلى هدم، ومن توحد إلى فرقة، ومن تآلف إلى اختلاف، ومن تعاون على البر والتقوى إلى تنابذ وعداء، وليس من الممكن إصلاح حال أمتنا إلا بالعودة إلى المنبر الواحد، الذي يستخدم لغة واحدة، ويصدر عن فكر واحد هو الفكر المحمدي، وحينئذ تسقط كل منابر الأضرار، منابر الريبة والتفريق، عندما تقرأ قول النبي ﷺ في

الحديث الصحيح: (أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار) أو يجعل الله صورته صورة حمار؟ إنه حديث قاس، ما هذا التهديد الشنيع؟ معنى هذا الحديث -يا سادة- أن الشخص الذي يأبى أن يكون مرناً مع الجماعة ليناً بأيدي إخوانه يُحب أن يكون فوضوياً يَرفع ويَخفض وحده دون ارتباط بنظام هذا شخص أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان، لأن تصرفات الأنانية والوحدانية تجعله يَفقد روح الجماعة في التعاون والاقتداء.

إذاً وظيفة المسجد الكبرى أنه يُوحد الأمة ويعمل على تماسكها وتعاضدها، وهذا الأمر يُرعب الأعداء، ويجعلهم يعيشون في قلق، وقد لاحظنا أنه يوم هاجم الاستعمار العالمي على بلاد الشام، واستطاع أن يحتل فلسطين، لاحظنا أنه في الوقت الذي نجح فيه عسكرياً كان مُستميتاً من الناحية الثقافية والاجتماعية أن يسحب الإسلام من ميدان المقاومة، وأن يجعل العرب المهزومين لا يَلتقون في المساجد لقاءً نافعاً، وذاك ما حدث، فإن المساجد أصبحت صوراً، وأصبح الكلام الذي يلقى فيها ميتاً، واستمات الاستعمار وأُجراؤه في شتى الميادين على أن يرفضوا أية تجمع للإسلام في بلاده، وبذلك استطاع اليهود أن يَضربوا دون أن يُضربوا، وأن يَظلموا وهم آمنون مِن العقوبة، وأن يتبجحوا وهم يُدركون أن الثأر منهم والإعدام لهم ما دام بعيداً عن المسجد فلا قيمة له، وهذا هو السر في إغلاق أبواب المسجد الأقصى في وجه الفلسطينيين.

إذاً -يا سادة- رسالة المسجد رسالة محبة وسلام، رسالة تعاون وتآلف وتكاتف وتعاضد، رسالة أخوة، رسالة علم وحضارة، أما اليوم فقد تحولت المساجد مع الأسف إلى رمز من الدمار والهلاك، إلى رمز من القتل والفناء والإبادة، إلى رمز لكل ما يسخر منه العالم بأسره من أن الإسلام دين قتل ودين إجرام ودين ضياع ودين تأخر، وهذا ما حَدث في سورية، فعندما اشتعلت الحرب العالمية علينا من أربعة وثمانين دولة ويزيدون، عندما اشتعلت هذه الحرب علينا وجدنا أن المقصود من هذه الحرب هو ضرب الاسلام في مقره، ومقر الإسلام هنا في دمشق، كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام: (استل عمود الكتاب من تحت رأسي، فأتبعه بصري فإذا هو بالشام) عندما ابتدأت ما يُسمى بالمظاهرات من أجل الحرية -قبحهم الله ما أكذبهم، قبحهم الله وقبح من حرضهم، قبحهم الله وقبح كل مَن مول هؤلاء السفلة- ماذا فعلوا بحجة المظاهرات ومطالب الحرية؟ عَملوا على مضايقة الدعاة وتهجيرهم من المساجد، إما أن تخطب كذا، وإما أن تُقتل، وإما أن تُهجَّر، ماذا حدث بعد هذا الموقف؟ ما كان من الدعاة النوابغ إلا أن هاجروا،

ومن وقف منهم في وجههم لا يخاف ظلمهم ولا يخاف إجرامهم ولا يخاف سلاحهم الهزيل الفاشل تَعرض إلى قتل وتعذيب، وتعرض إلى إعاقة دائمة في جسده، لكنه كان قوياً في روحه، كان قوياً في مَوقفه، فالغاية -يا سادة- فيما حدث في سوريا من بداية هذه الحرب علينا هو ضرب المساجد، لكي يظهر هؤلاء للعالم -هذا ما وجهه به بنو صهيون، ليدمروا المساجد- لكي يظهروا لغير المسلمين أننا قتلة، وأننا مجرمون، وأننا ليس عندنا قيم ولا أخلاق، من قال لكم يا سفلة، من قال لكم يا كذبة، من قال لكم يا خونة، أن المساجد كانت منذ التاريخ مرتعاً ومنطلقاً للفساد والرذيلة وللخراب والدمار؟ مَن قال ذلك؟ رَحم الله علامة الإسلام الدكتور مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي، شهيد المحراب عندما قال لهؤلاء السفلة في بداية الحرب على سوريا: لماذا تنتعلون المساجد لتتخذوها منطلقاً لإجرامكم، منطلقاً لتهجير الناس، منطلقاً لسرقة البيوت، منطلقاً لهدم الأعراض، منطلقاً لهدم وحرق هذا الوطن العظيم، أما قال لهم ذلك العلامة الشهيد شهيد المحراب، ما كان منهم إلا أن قتلوه في بيت الله وهو يعلم القرآن الكريم، لا يريدون كلمة الحق، كلمة الحق تؤرق الخونة، كلمة الحق تقوض مضاجعهم، كلمة الحق في مساجد سوريا تزلزل كيانهم وكيان أسيادهم، فإننا نقول لكم -يا سادة- إنني أخاطب الدعاة في جمهورية العربية السورية، وأخاطب الدعاة في العالم بأسره، أن تكون مساجدنا رمز خير وعطاء وبركة ومحبة وسلام، رَمز علم وحضارة لا رمز قتل وإجرام، وأن نعود جميعاً إلى الخطاب المحمدي الواحد الذي علمنا إياه النبي صلوات الله وسلامه عليه.

إن المساجد على مر التاريخ -كما قرأنا- كانت بيوتاً للعلم والهداية، وإن الكنائس على مر التاريخ -كما قرأنا- كانت منبعاً للفهم والوعي والإدراك، كم جدير بنا اليوم -يا سادة- في سوريا في هذا الوطن العظيم، بقيادته بشعبه الصامد، بجيشه المناضل الصادق الأمين، والمؤتمن على الأرض والعرض، كم جدير بنا أن نتمسك بمساجدنا، وأن نتمسك بكنائسنا، وأن نعيد التاريخ العريق للصحابة العظماء وللتابعين من هذه الأمة، أن نعيد مجدهم وسيرتهم، لكي نبين للعالم بأسره أن المنابر كانت وما زالت وستبقى منابر هداية وعلم وخير إلى أن يَرث الله الأرض ومن عليها، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانــ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً سحاً طبقاً مُجللاً إلى يوم الدين، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن والأمان إلى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العربي السوري، وأن تثبت الأرض تحت قدميه، وأن تكون له معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.